جنكيز خان (١١٦٢-١٢٢٧م)

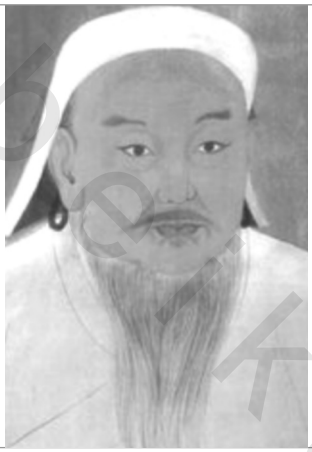

جنكيز خان ... اسم من حديد

"أن تكون فرداً في جماعة الأسود خير لك من أن تكون قائداً للنعاج"

طفل منغولي بائس، لم تكد عيناه تتمتع برؤية الحياة حتى أتت المصائب تتلاحق لتطفئ براءة الطفولة في تلك العين، وتدفع هذا الطفل لحياة البؤس والتشرد.....لكن عيناه تلك لم تنم نومتها الأخيرة إلاّ وهو أعظم إمبراطور عرفه التاريخ البشري...!

يُعتَقَد أن جنكيز خان (واسمه الأصلي تموجين) ولد عام ١١٦٢م، وقد كان الابن البكر ليسوكيه زعيم قبيلة كياد. وعُرف والد تموجين بالشدة والبأس حيث كانت تخشاه القبائل الأخرى، وقد سمى ابنه "تموجين" بهذا الاسم تيمنًا بمولده في يوم انتصاره على إحدى القبائل التي كان يتنازع معها، وتمكنه من القضاء على زعيمهم الذي كان يحمل هذا الاسم، والذي يعني عامل الحديد.

ولم تطل الحياة بأبيه، فقد قتل مسموماً على يد قبيلة معادية في عام ١١٧٥م، تاركاً حملاً ثقيلاً ومسؤولية جسيمة لـ"تموجين" الابن الأكبر الذي لم

obeikandi.com

يتجاوز بعد الثالثة عشرة من عمره، وما كان ليقوى على حمل تبعات قبيلة كبيرة مثل "كياد"، فانفض عنه حلفاء أبيه، وانصرف عنه الأنصار والأتباع، واستغلت قبيلته صغر سنه فرفضت الدخول في طاعته على الرغم من كونه الوريث الشرعي لرئاسة قبيلته، والتفَّت حول زعيم آخر، وفقدت أسرته الجاه والسلطان، وعاش تموجين وعائلته حياة قاسية ومعزولة بعض الوقت. إذ كانوا لا يملكون إلا قليلاً من الأغنام أو الماشية.

ولم تستمر هذه الحال طويلاً، فقد أخذت أم تموجين تلم شتات الأسرة المستضعفة، وتحث أبناءها على الصبر والكفاح، نجحت في ذلك وبخاصة مع تموجين الذي ظهرت عليه أمارات القيادة، والنزوع إلى الرئاسة، مع التمتع ببنيان قوي جعله المصارع الأول بين أقرانه.

بعد ذلك أخذ تموجين يجذب إليه أتباعاً من الحلفاء ويكوِّن جيشاً. واستخدم تدريباً قاسياً وانضباطاً صارماً لإخراج قوة مقاتلة فوق العادة. وتأكد من أن جيشه مجهز تجهيزاً جيداً ولديه المقدرة على استيعاب أساليب وأسلحة جديدة. وعين تموجين ضباطاً على أساس كفاءتهم بدلاً من انتمائهم العائلي. وبهذه الطريقة كان لديه ضباط مخلصون له فقط.

بدأ تموجين خطته في التوسع على حساب جيرانه، فبسط سيطرته على منطقة شاسعة من إقليم منغوليا، وبنهاية عام ١٢٠٦م، أصبح حاكماً للمغول. وفي تلك السنة، لقَّبه رؤساء القبائل جنكيز خان، وهو لقب قد يعني إما الحاكم الكلي أو الأمير الذي لا يُقهر.

وحين غزا قبيلة تارتار الذين قتلوا والده لم يعرف قلبه رأفة أو شفقة بهم، فقد ذبح جميع رجالهم ولم يبق إلا على الأطفال والنساء والفتيان، الذين أخذهم جميعاً أسرى واستعبدهم منهياً بذلك شوكة قبيلة تارتار.

استعد جنكيز خان للاستيلاء على الصين، بعد أن أصبح حاكم المغول. ولكنه بدأ بقتال مملكة تقع غربي الصين تُسمى زي زيا. ثم غزا شمال شرقي الصين. وفي عام ١٢١٥م استولى على بكين، عاصمة إمبراطورية "جن تشن".

و في ١٢١٨م، أوقف جنكيز خان هجومه على الصين واكتسح أواسط آسيا. وسحق مملكة خوارزم التي هي الآن أوزبكستان وتركمانستان. في عام ١٢٢٠م، دمر مدينتي بخارى وسمرقند (الآن في أوزبكستان) ونيسابور في إيران. كما هاجم جيشان صغيران تابعان له السهول شمالي بحر قزوين، وبنهاية عام ١٢٢٣م، استولى على كبتشاكس، وهزم الروس على نهر كلكا.

- إمبراطورية جنكيز خان في أثناء وفاته -

أخذ جنكيز خان يهاجم قبائل زي زيا من عام ١٢٢٥م إلى وفاته في ١٢٢٧م، وكانت هذا القبائل قبائل كبيرة إذ يبلغ عدد أفرادها ما يقارب الخمسة ملايين ولهم جيش ضخم لكنه لم يكن مدرباً ومنظماً بشكل كافٍ، ولم يكن ذا دراية بأساليب الحرب وخدعها، ولذلك فعندما قابلتهم جيوش جنكيز خان في معركة عظيمة التجؤوا إلى جبل عظيم ولم تستطع جيوش جنكيز خان التقدم، فلجأ

جنكيز خان لحيلة كان مغرماً بها في الحروب وهي التظاهر بالانسحاب والتقهقر، مما حدا بجيش الخصم إلى الخروج من مختبئهم ومطاردة ما كانوا يظنونه فلول جيش جنكيز خان، وإذا بجيش جنكيز خان يستدير فجأة ممطراً العدو بوابل من سهامهم المميتة قاتلين معظم الجيش، واستطاعو أسر قائده. فلجأ امبراطور قبائل زي زيا إلى طلب الهدنة والسلام وعرض ابنته على جنكيز خان للزواج بها في العام ١٢١٠م، وانضمت هذه الإمبراطورية تحت لوائه.

بعد أن توطدت سلطته كزعيم لكافة القبائل المغولية قام بالعديد من الأعمال المهمة مثل توزيع الوظائف المهمة على معاونيه، سواء منها الحربية أو المدنية، وتعيين حرساً خصوصين لحمايته وتوفير المؤن والتأكد من تنفيذ أوامره، وتجاوز عددهم عشرة آلاف من المقاتلين الأشداء، واحتفظ برهائن من العائلات القوية وذات النفوذ، حيث راودته فكرة الثورة؛ ولذا كان عليه أن يتخذ احتياطاته. كما شجع شعبه على تعلم القراءة والكتابة، وذلك بالرغم من عدم اهتمامه بالأمور الثقافية، كما أسس أول نظام قانوني للمغول، سُمي ياســـــا أو ياساك، وتحدث عن عدة محاور منها أنه:

١- نظم العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة.

٢- أحل زواج الرجل من أختين.

٣- أجاز زواج الابن من زوجات أبيه باستثناء أمه.

٤- فرض عقوبة الموت على جرائم التجسس على الآخرين وتلويث المياه وترك الجائع بلا إطعامه، أو العطشان بلا سقايته.

توفي جينكيزخان سنة ١٢٢٧م في أثناء حملة عسكرية تاركاً إمبراطورية عظيمة الاتساع، ولما أحس بدنو أجله قسم إمبراطوريته بين أبنائه الأربعة، الذين

قاموا وأبناؤهم بخمس حملات عسكرية، وأسسوا دولة هان المنغولية التي امتدت من آسيا إلى أوربا، كما قام هولاكو المغولي بغزو بغداد عاصمة الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وجعلت جيوشه مياه دجلة زرقاء أو حمراء من كثرة رمي الكتب فيها، وسفك الدماء. ثم أصبح المغول مسلمين فيما بعد وأسسوا سلالات مشهورة حكمت الهند لزمن طويل، وتعاقبت الإمبراطوريات والدول المغولية لمئات السنين بعد ذلك حتى احتلت بريطانيا الهند في القرن التاسع عشر وأزالت آخر الممالك المغولية.

- الإمبراطورية المغولية في أقصى اتساع لها -

بقي أن نشير إلى أن جنكيز خان بالرغم من أثره العسكري العظيم الذي اتسم بالوحشية، لم يخل تاريخه من إنجازات حضارية عظيمة، فأثناء حملاته العسكرية نحو الغرب نقل المخترعات الصينية الأربعة الكبيرة، وهي الورق والطباعة والبوصلة والبارود، إلى غرب آسيا وأوربا، وفي الوقت نفسه استقدم الحضارة الغربية إلى الصين، وأدى الانضباط الذي فرضه على البلاد التي إلى نمو هائل في التجارة بين الصين وأوروبا.

واليوم توجد مقبرة جنكيز خان الحديثة في أردوسي، حيث نُقل إليها جثمانه، والتي بنيت عام ١٩٥٤م لتكون مقصداً سياحياً شهيراً، حيث يمكن مشاهدة المقبرة في النهار والإقامة ليلاً في القباب المنغولية وتناول الأطعمة

المنغـوليـة بجـانـب رفـات ذلك القـائـد الذي قـاد أعظم الحـمـلات العـسكرية في التاريخ وأسس أكبر الإمبراطوريات التي عرفتها البشرية.

– ورقة نقدية منغولية من فئة ١٠٠٠ مونغو تحمل صورة جنكيز خان –

obeikandl.com